## مواكب العزاء ومسرح عاشوراء

# موكب العباسية نموذجاً لوعي الجماهير

## نصوص من الردّات الحسينية الحديثة

كربلاء / المدى

في كل عاشوراء مناسبة للتقوى ولاحتدام المشاعر والتعبير عنها، وفي يوم عاشوراء تتحرك المواكب الحسينية لتجتاز شوارع المدن وهي تؤدي الطقوس الحزينة الشجية تشحنها الردات العاشورية التي تمثل الجزء الثقافي والابداعي من مواكب الاحتفال، وعاشوراء بهذا ليس احتفالا عاديا إذا ما نظر إليه من زاوية أخرى غير الزاوية التي تأخذ من البكاء ميزانا لها فتنحصر الرؤية في مكان ضيق..عاشوراء مسرح للاحتفال يعبر عن ثقافة شعبية لها عمق تاريخي فتغدو حركة الناس على بقعة معينة من الأرض وكأنها مسرح كبير له مؤدوه وجمهوره مثلما له مؤلفوه ومسؤولوه الذين يهيئون الكلام على قاعة عاشوراء.

ثقافة وان طغى عليها الطابع الديني إذا ما عرفنا إن الدين هو الثقافة الأعلى فيأخذ منه البعض زادا للتقوى والبعض الآخر زادا للبيعة والبعض الثالث مكانا لرؤية تنبثق من ميزان السياسة لان واقع الحال وما أفرزته الثورة الحسينية التي جاءت بلسان الناس ومن اجلهم لتعبر عن مكنونات تختزل في شعر ترددة جوقة داخل حلبة مسورة بإيقاع له صوت يشق أذان الواقع ليقول له أن الواقع تحت المجهر.

وما بين عاشوراء والسياسة ثمة شعر وردات انفرد به موكب جمهور طرف العباسية على مر السنين ليكون مسرحه هدفا لقول ما يجول في عقول البسطاء.هكذا يقول القائمون عليه وهم يعللون انفراد موكبهم الشهير والذي يستمع اليه جمهور مسرح عاشوراء القادم من كل حدب وصوب.

### الموكب والبداية الأولى والمؤسسون

موكب طرف العباسية مشهور بأشعاره السياسية في كل مناسبة دينية.يقول عنه الشاعر الحسيني رضا حسن النجار احد مسؤولي الموكب. تأسس موكبنا عام ١٨٨٨ من قبل المله حيدر المختار والمله علي المختار وسيد عبد الأمير الشامي وهادي الشامي وحسن النجار وكاظم الوزني وعبد الحسين القصاب وعواد الكرعاوي ورستم علي.ويضيف.. يمتاز موكبنا بترديده الردات السياسية في مثل هذه المناسبات وهذا هو الامتياز الذي له دلالته وأسبابه.وكانت تعقد جلساته في الحسينيات والجوامع دون الخروج الى الشوارع.

كان أول موكب لنا ينزل إلى الشارع في عام ١٩١٩ على شكل بسيط وهو التاريخ الأول لنصب أول تكية باسم جمهور طرف العباسية ثم ابتدأ بشكل منظم وعلى شكل مجالس تعزية وردات وأشعار في عام ١٩٢٩، ولان المواكب الحسينية لها شعراؤها فان هذا الموكب اجتمع من اجله عدة شعراء لهم باع طويل منهم(السيد حسن الحسيني/ السيد هاشم الاعرجي/ محمد فاضل إسماعيل الملة/ زهير الشافعي/صباح عبد علي/ فاضل الخزعلي).

### السياسي وملاحقة السلطة

يبدو إن موكب طرف العباسية لا يترك مجالا إلا وانتقد الواقع العراقي ولأنه كذلك فان الملاحقة بدأت معه حين ازداد الوعي السياسي في العراق في ستينيات القرن لماضي.

يقول حامد كاظم العبيس مسؤول الموكب..في سنة ١٩٦٦ نزل موكبنا إلى الشارع وهو يردد كما هي في كل عام ردات سياسية فقلنا:

مدكلي ياظلم ظلمه سلم
هيهات يبقى الظلم
دور بهذا الفلك
فرعون قبلة هلك
هيهات يبقى الظلم

ويضيف..كان المتصرف في ذلك العام هو جابر حسن حداد فأرسل على الرادود وهو والدي الحاج كاظم العبيس واعتقله إلا إن وجهاء المدينة وعلى رأسهم الشيخ عبد الحسين كمونة ذهبوا إلى المتصرف وضغطوا عليه وأطلق سراحه بعد يومين من الحبس..ويشير..إلا إن المتصرف لم يكتف بهذا بل ابعد الشعراء إلى مدينة الموصل للتخلص منهم وهم( رضا النجار/ عباس الجصاص/ سيد حسين الموسوي/ عبد علي خاجي/ عباس الشامي/ عبد الامير رسول السماك/ صاحب مهدي).

### النظام السابق وتحريم الشعائر

تقول الروايات الواقعية إن النظام السابق كان يمنع مثل هذه الشعائر وانه وان سمح للزوار بالقدوم إلى كربلاء إلا انه كان يصطنع الكثير من الطرق للإيقاع بالقائمين على هذه الشعائر..وان موافقته على إقامة بعض تفاصيل الشعائر لجعلها مصيدة لاعتقال أو إعدام أو سجن من يعتقد انه ماض في طريق غير طريق ما يريده النظام.

يقول الشاعر رضا: كان النظام السابق يحارب مثل هذه الشعائر وهذا شيء معروف مثلما تعرف الناس انه كان يحارب خاصة موكب جمهور العباسية بسبب أشعاره السياسية التي كانت مبطنة .ويضيف.. في عام ١٩٧٢ خرجنا في موكبنا ضد الحكم البائد بردات مبطنة :

وينك يانوري
وين العرش وين الطغيان
وينك يا مصلح ( الذي اصدر أمراً بإعدام الهاربين )
ياكل جزاءه كل من خان
واللي يعادي شعبه
تالي النضال يادبه
ما نرضه بالعداون
لا لا ما نرضه بالعدوان

ويضيف..في عام ١٩٧٩ منع النظام السابق كل أشكال الشعائر الدينية والمواكب الحسينية في كربلاء باستثناء ركضة طويريج.

ويؤكد العبيس..لقد سجن واعدم عدد كبير جدا من القائمين على هذه المواكب ومن المشاركين أيضا..فقد اعتقل الشاعر عبد الزهرة السعدي ( الشرطي ) في عام ١٩٧٦ ولم يعثر على جثته أو قبره لحد الآن وكذلك المرحوم مهدي حسن النجار احد وجهاء العباسية وأيضا عبد الأمير عبيس الوزني وهما من وكفاء الموكب سجنا ولم نعثر على جثتيهما حتى اليوم.

موكب العباسية كما يقول رضا ومنذ عام ١٩٤١ تحول إلى الردات السياسية لان الوعي السياسي بدا يزداد يوم ذاك ضد الاحتلال الذي جعل الشعب يمر بظروف سود.لذلك يقول رضا ان شعار الموكب اختصره بهذه الردة التي كتبتها باللغة العربية:

موكب سار على مر السنين
بهدى الايمان والحق المبين
به شبان تساموا بالفدا
بذلوا الارواح من اجل الحسين
صرخة منهم علت نحو السما
هتفت ضد الطغاة الظالمين

ويضيف..الجميع يتساءل لماذا رداتنا سياسية فأقول..ان ثورة الحسين هي أصلا ثورة ضد الظلم ومن اجل الفقير والمعدم والمظلوم..وقد رفع راية الثورة ضد طاغية عصره الذي تميز بالانحراف وقد قال الحسين قولته الشهيرة( ما خرجت أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما وإنما خرجت لطلب الإصلاح في امة جدي) هذه المقولة تمثل القدوة لأشعار طرف العباسية..لذلك فان ثقافة الثورة تنعكس على ثقافة من يؤمن بها..ويوضح.. هناك سبب آخر هو إن العزاء على الحسين يمثل الصوت الحسيني والوطني بالنسبة لنا على الرغم من إننا جميعا لا ننتمي إلى التيارات السياسية لذلك عندما كان يخرج طرف العباسية في زمن كل الحكومات تدخل السلطات في حالة انذار لان صوتنا يرهبها..ويتابع رضا..يضاف إلى ذلك عامل مهم آخر وهو أن طرف العباسية أكثر طرف أو حي متضرر في كربلاء وفيه أناس مظلومون وشهداء وضحايا ومثقفون وشعراء وهذا ما ينعكس على إشعارنا ورداتنا الحسينية لأننا نبغي الإصلاح في هذا الوطن ونريد أن نعالج الظلم والفساد إذا ما كان موجودا حتى في هذا الزمن.

### سقوط النظام وهيئات العزاء

بعد سقوط النظام عادت المواكب إلى الشوارع بل إن عددها ازداد وأصبح لكل موكب هيئات عديدة تتوزع على مساحة الطرف أو الحي..ويقول.. بعد سقوط النظام كان أول موكب ينزل إلى الشارع هو (هيئة شباب انصار الحجة) التابع الى موكب جمهور العباسية وهو يردد:

ما خضعنه وما جزعنه
رادو انعوفك وننسه ياحسين
شلون ننسه وانت رمز الثائرين
ما خضعنه وما جزعنه

مشيرا إلى إن الموكب له هيئات عديدة وكل هيئة تخرج بجوقاتها لكي تردد الأشعار في حلقات العزاء..مبينا..هيئات الموكب هي( شباب السبطين/ خدمة أهل البيت/ خدام الحسين/شباب أنصار الحجة/أصحاب الكساء/ آل محمد/شباب الطف/شباب القاسم/الغاضرية/ أبو الأحرار/ المختار)وهذه جميعها تنزل إلى الشارع متوحدة ليبدو صوت الحسين والوطن والسياسة واحدا عاليا.

### زعل السياسيين والردات الناقدة

ولان الردات التي تنطلق من أفواه المنشدين في مواكب العزاء سياسية فإنها أيضا تحمل نقدا لاذعا لكل ما يراه الشاعر متصلا بالمواطن..فهذه الصبغة جعلت من ردات العباسية وكأنها صرخة أو جدار حر للكتابة أو شاشة كبيرة تعرض انعكاساً لصورة المأساة التي يمر بها الشعب العراقي على التاريخ.

يقول النجار..هناك زعل من قبل السياسيين الذي جاءوا إلى السلطة بعد سقوط النظام على رداتنا لكونها تنطق وتؤشر على مواقع الخلل في الحياة السياسية والاجتماعية وما يتصل بها في العراق..ويضيف..ولكننا نقول إن ما يقوله المعزون في مواكب هيئاتنا هو انعكاس أيضا لما يقوله السياسيون أنفسهم الذين يعلنون على الملأ أن هناك فسادا ورشوة وأزمات وعدم وجود حلول أو صعوبة إيجادها ونحن نقول بصوت الشعب إن هناك فساداً ورشوة وأزمات وليس لدينا اتهام لطرف معين بل نريد أن تعالج هذه الأزمات لكي تستقيم الحياة لان الحسين (ع) خرج للإصلاح وهذا هو منبر الحسين فالمواكب أيضا تريد الإصلاح.

فقد قلنا في العام الماضي:

أبو الأئمة شعبك أيعيش بماسي
والقوائم همه توزيع الكراسي
رشوة وإرهاب وبطالة
والشعب ساءت أحواله
والله مليته الوعود
كافي مليته الوعود
ويستمر النجار..مثلما دعونا للوحدة الوطنية لأننا شعب واحد والحسين حسين الإسلام والوحدة الإسلامية فقلنا
إنادي بالوحدة وبرص الصفوف يا حسين
ونستمد قوتنه من ارض الطفوف يا حسين
كلنا أخوة بهذا البلد
وكل طوائفه سند
تبقى سالم يا عراق تبقى سالم

الردات السياسية في مواكب هذا العام

وفي هذا العام خرجت مواكبنا بهتافات لا تقل شانا عما تعارف عليها الجمهور من ردات العباسية

هيهات هيهات نستقبل الذلة
والله اكبر جريمة تحترك بغداد
دار اهل الفكر والكرم والامجاد
مجروحة ولجمتوهه
عروسة وذبحتوها
هيهات هيهات نستقبل الذلة.

لا لندن ولا امريكا تغيرنا
ولا نرضى جهات الها تجرينة
هويتنة عراقية
نموت وباقية هيه
هيهات هيهات منه الذله

سفينة بحر والموج ما يرحم
جثيرة اعيوبة ونريد من يلحم
من كثرة الملاحه
شعبنة زادت اجراحه
الله الله الله اشمصيبه

مو كلمن حجه وصرح تصدكَونه
نريد اللي يخلي الشعب بعيونه
تحزّب على الشعب كافي
مو تصعد على اجتافي
الله الله الله اشميصبه

مجلس النواب بس ملتهي بنفسه
واحنه نعاني من الضيم لهسه
منه البعض خل يسمع
ما ندري شوكت يشبع
الله الله الله اشمصيبه

الكهرباء تحرم بعد ترجع على اللاله
واللالة يريدلها نفط ونفطاتنه وشاله
تهريب على المكشوف/ هاي المشكلة
الشعب عينة تشوف/ هاي المشكلة
ياحسين تدرينه / محد يلاوينه

# الرثاء الحسيني والصيافة الشعرية للتأريخ

إبراهيم حسيب الغالبي

لعل استشهاد الامام الحسين (ع) في النصف الثاني من القرن الهجري الأول مثل الحدث الأكثر دويا في تلك الفترة التي لم تخل من الحرج و كانت واقعة الطف مثالا " غريبا " للاحتقان السياسي و تجلي النزعة المفرطة في الاستحواذ على السلطة و النظر إليها كأهم قضية من قضايا الدين الإسلامي . إذ كان من المقبول و المعقول أن تطول التصفية السياسية المعارضين و من يطمعون في تولي كرسي الخلافة و لكن أن يصل الأمر إلى قتل رجل كالإمام الحسين عرف بين المسلمين بلقبين رددهما الصحابة و التابعون وهما ريحانة الرسول و سيد شباب أهل الجنة فذلك ما لم يكن متوقعا . إذاً فقد كانت الحادثة صدمة مباغتة هزت وجدان الكثيرين و دفعتهم إلى الاعتراض سرا أو جهرا لا سيما أن طبيعة تلك الحادثة لم تكن مألوفة على الإطلاق و مورست فيها فظائع لم تدر في بال حتى أولئك الذين شاركوا في تنفيذها كما تنص على ذلك بعض النصوص التاريخية الموثوق بها .

إن الحديث عن واقعة الطف لم يكن حديثا عاديا يكتفي بنقل خبر من الأخبار بل لا بد له من أن يصور حالة غير متوقعة حتى في تفاصيلها و جزئيات أحداثها ، أن يعبر عن مشاعر و أحاسيس أكثر من رصد ظواهر المعركة التي دارت هناك لأن هذه الأحاسيس وليدة ظاهرة غير مألوفة و المشاعر السائدة ترتبت على فعل لم يكن سويا على الإطلاق ...وهنا كان الشعر هوية للوجدان المكلوم بفاجعة مقتل أبن بنت الرسول محمد (ص) . هل من المصادفة أن أول من نقل خبر مقتل الحسين رجل من بني أسد نقل خبره ببيت من الشعر و إن أهل المدينة تلقفوا الخبر أيضا بأبيات لبشير بن حذلم أرسله علي بن الحسين أمامه ! لقد كان رثاء الحسين بالشعر هو الذي أنبأ قبائل عديدة بخبره في كربلاء وأنه استشهد هناك مع أهل بيته و لا غرابة في ذلك فالحدث كان مزلزلا و خادشا للمشاعر و العواطف قبل كل شيء لأن الصورة العامة التي يتراءى فيها الحدث هو الإمعان في القتل والتنكيل بمجموعة من الرجال يرأسهم ابن بنت النبي على يد جيش جرار أرسلته السلطة الحاكمة دون سبب واضح و مقنع خلا الخوف من قيادته لعمل معاد لها .

لم يمضِ وقت طويل حتى أصبح رثاء الحسين وسيلة بيد أتباع البيت العلوي المعارضين للسلطة الأموية لتأدية أغراض و تلبية أهداف و غايات المعارضة . فهو من جانب كان الوسيلة الوحيدة للاعتراض و التعبير عن الرفض و السخط لما حل بالحسين وأتباعه و من جانب آخر مثل رثاء الحسين طريقا سالكا لتأصيل حقيقة انتصار الدم وخلود الموقف في ذاكرة الأجيال و جانب ثالث تمثل في كونه إعلاما عقائديا يهدف إلى نشر ما آمن به الحسين و إبقائه حيا يتمتع بقدرة المطاولة وامتلاكه شهادة تاريخية و قولا فصلا في التفاصيل و الأحداث ، و بفعل هذا الأخير فقد أدت القناعة بأن لشعر الرثاء الحسيني قيمة في نشر الأفكار الإسلامية الشيعية إلى أن يكون الشعر الحسيني ذا صبغة مذهبية خالصة إلى حد كبير كما يؤكد الاستاذ عبد الهادي الفضلي مع أن المعاني التي يمكن أن يفيد منها الشاعر في مقاربته للواقعة الكربلائية هي من المعاني الإنسانية الشاملة غير المقتصرة على فئة ما .

لهذا تخصص على مدى قرون من الزمن شعراء في موضوعة الرثاء الحسيني و عرفت أسماء لامعة في تاريخ الشعر العربي من مختلف المذاهب الإسلامية و إن اختلفت معالجاتهم وزوايا نظرهم للحادثة المفجعة . غير إن الشعر الحسيني تمتع بميزة تاريخية خاصة لدى مؤرخي الشيعة الإمامية بشكل خاص حيث جعلوا منه نصا تاريخيا جديرا بالأخذ و الاحتكام وهي وظيفة لا تلائم طبيعة النص الشعري من حيث كونه نصا انفعاليا يحتشد على جيشان المشاعر و التهاب الأحاسيس وهو يصور أية حادثة حين يصورها من مبدأ انطلاق العواطف في رحاب الولاء و الفعل التربوي ضمن فضائه العقدي المحض . يرى الشيخ الأميني وهو من علماء الشيعة المتأخرين ضرورة اعتبار الشعر الذي قاله شعراء الشيعة بمثابة الأحاديث المأثورة و من جملة المؤكدات التي لاشك فيها ( ينظر : الغدير ج٢ ، ص٧ ) .و يقول في موضع آخر من موسوعته الشهيرة حول الغدير " ونحن لا نرى شعر السلف الصالح مجرد ألفاظ مسبوكة في بوتقة النظم ، أو كلمات منضدة على أسلاك القريض فحسب ، بل نحن نتلقاه بما هناك من الأبحاث الراقية في المعارف من علمي الكتاب والسنة ، إلى دروس عالية من الفلسفة والعبر والموعظة الحسنة والأخلاق ، أضف إليها ما فيه من فنون الأدب ، ومواد اللغة ، و مباني التاريخ ، فالشعر الحافل لهذه النواحي بغية العالم ، ومقصد الحكيم ، ومأرب الأخلاقي ، وطلبة الأديب ، و أمنية المؤرخ " فهو يرى أن الشعر الحق ما توفر على ما ذكر و منها المباني التاريخية و هو بهذا المعنى يعد أمنية المؤرخ ( نفس المصدر ص٢٠) . و قد أورد الشيخ الأميني بعد قوله السابق قصة الفرزدق في مدح الإمام علي بن الحسين عليه السلام و كأنه يريد التأكيد على البعد التاريخي للقصيدة الميمية التي مدح بها الشاعر الإمام في موسم الحج . إذ أن هذه الحادثة كان لها صدى واسع وتناقلها رواة وكتاب الأدب مضاهين في ذلك رواة التاريخ و السير فلا تُذكر تلك القصيدة إلا و يسبقها سرد للمناسبة التي قيلت فيها . بيد أن هذا من لواحق النص الشعري و ليس من ذاتياته التي كما هو مفترض من ظاهر الرأي السابق يتم استجلاء المبنى التاريخي من خلالها و هو معنى كون الشعر مصدرا تاريخيا كما يقول الأميني . و كم من الشعر العربي غير قصيدة الفرزدق هو من هذا القبيل ، حيث يعتصم المعنى وراء ستار المناسبة التاريخية التي تختلف عند المؤرخين .

ورواة الأثر الشعري هم أناس تفتقر سيرهم إلى الوضوح و الجلاء كي يمكن الحكم على إمكانية القبول بما نقلوه على وفق ما هو جار في معرفة عدول التاريخ و الحديث و لا أقل من كون العامة ممن له إسهام بشكل أو بآخر في هذا المجال لأن الشعر الصق بهم شعورا و إحساسا و تعبيرا بل هم رواته الأول قبل غيرهم ولاسيما في المواضيع التي تحفل بجانب العاطفة الدينية ، لهذا يرى السيد محمد محمد صادق الصدر " أن بعض الشيعة خلال الأجيال، كانوا يتقربون إلى الله تعالى بإيجاد إضافات إلى الأشعار المسموعة والموروثة ولا يعلمون أن هذا من الكذب الحرام "( ينظر : شذرات من تاريخ الحسين . ص١٩٩ ) . و مع كل هذا فقد كان لشعر الرثاء الحسيني دور مهم في صياغة ذهنية خاصة في التعاطي و النظر إلى واقعة كربلاء بل مارس عبر تاريخه الطويل دورا في تشريع و صياغة بعض من الأفكار المذهبية المهمة و حتى الطقوس التي يؤديها العامة وقد رسخت تلك العقائد و الممارسات رسوخا لم يعد بالإمكان تلافيها أو التخلص من تأثيرها المزمن . ومن الأمور اللافتة أن نرى لشعر الرثاء والبطولة في الإمام الحسين كل تلك القدرة على صياغة شخصية أبطال الواقعة صياغة متأثرة بعوامل البيئة و المجتمع ومن ثم طرحها كحقائق تاريخية تسهم في بناء تفاصيل درامية عن ملحمة عاشوراء .

ولا شك في أن للشعراء طبيعتهم الخاصة في معالجة الموضوع التاريخي و مهمة الشاعر على الدوام هي استثارة العواطف و تحريك إحساس التعاطف مع القضية التي يطرحونها و يعالجونها في قصائدهم ، و لطبيعة المأساة الحسينية فقد كان للشاعر أن يركز على بعض التفاصيل و الجزئيات الواقعة بالفعل التي تمتلك أهمية كبرى لكونها مثيرة و تنطوي على حالة مستفزة تحقق غايته في إلهاب عواطف الجمهور. إن اهتمام الشاعر بالتأثير و استدرار دموع المستمعين الذين تجيش مشاعرهم بالتعاطف و حب الحسين من جهة و من جهة أخرى محاولة إظهار حجم الظلم الذي تعرض له البيت الحسيني احفاد الرسول (ص) يدفعه ولاشك إلى اغتنام كل جزئية يرى أنها تصب في مصلحة تحقيق هذا الهدف وهي من لوازم الصنعة لديه وهنا نعود إلى كلام الشيخ الأميني السابق الذكر و العرض الذي جعل من النص الشعري نصا تاريخيا موثوقا به وهو عنده كالخبر المروي و الحديث المأثور لنرى بأن من الطبيعي أن تتحول إضافات الشعراء و حقائقهم الشعرية إلى حقائق تاريخية مقطوعة الصحة والسند ليؤمن بها العامة دون جدال ويتلقفها الخاصة دون مراجعة و تمحيص كبيرين !